ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الفلسفة المعاصرة من منطق الاختلاف إلى إتيقا الاعتراف

Contemporary philosophy from the logic of difference to recognition

أ.حيزية حفيظي* Hafdii Hyzia hafdiihyzia5@gmail.com	فلسفة	مختبر المجتمع الجزائري المعاصر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر.
أد. عبد الكريم عنيات Pr.Abdelkarim Anayat anayatkarim@live.fr	فلسفة	مختبر المجتمع الجزائري المعاصر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر.

DOI : 10.46315/1714-010-002-008

الإرسال: 2020/04/25 **القبول:** 2020/11/12 **النشر** : 2021/03/16

الملخص:

فتحت الفلسفة المعاصرة أفاقا جديدة أمام الفكر الفلسفي وأصبحت فلسفة تتجاوز المعرفة إلى البحث في القيم، واستطاعت أن تعيد النظر في الكثير من القضايا التي لم يسبق طرحها في التاريخ وبهذا الشكل، وأهمها قضية الاختلاف، وبينت أن الاختلاف فضاء واسع ومفهوم عميق يتجاوز التصور الذي يحصر الاختلاف في النقيض أو الأخر المقابل للأنا، هذه التصورات الأيديولوجية هي التي أوقعت البشرية في كثير من الصراعات والنزاعات على مستويات مختلفة، واليوم بات من الضروري بل من حتميات البقاء أن نعمل وبكل السبل على تخطي هكذا أفكار، وهنا تأتي اليوم فلسفة الاعتراف كنموذج معرفي وقيمي وأخلاقي يهدف إلى إعادة صياغة علاقاتنا التذاوتية سواء على المستوى الذاتي أي بين الذات ونفسها أو على المستوى الاجتماعي أو إلى أكثر من ذلك علاقاتنا الانسانية على مختلف مستواياتها، وهنا ومن خلال هذا المقال سنحاول النظر في هذا الموضوع من زاوية فلسفية من خلال محاولة الإجابة على الإشكالية التالية: هل يمكن القول أن الاختلاف مأزق حضاري أم أنه فضاء للاستثمار؟ هل يمكن أن يكون الاعتراف نموذج أخلاقي لتحقيق الانفتاح من خلال حماية الهوية والتأكيد على منطق اختلاف؟

كلمات مفتاحية: الفلسفة المعاصرة؛ الاختلاف؛ الاعتراف؛ إكسل هونيث؛ بول ريكور.

Abstract :

Contemporary philosophy opened new horizons for philosophical thought and became a philosophy that transcends knowledge to research in values، and was able to reconsider many issues that had not previously been raised in history and in this way، the most important of which is the issue of difference، and showed that the difference is a broad and understandable space Deep beyond the perception that confines the difference in contrast or the other corresponding to the ego، these ideological perceptions are what have caused mankind in many conflicts and disputes at different levels، and today it is necessary، but it is imperative to stay that We are working in every way to overcome such ideas، and here comes the philosophy of recognition as a cognitive، value and moral paradigm that aims to reformulate our nutritional relations،

*- المؤلف المُرسل: hafdiihyzia5@gmail.com

المنارة للاستشارات

whether at the self level، that is، between the self and itself، or at the social level، or more than that، our human relationships at all levels.

Keywords : Contemporary Philosophy, Variation, Recognition, Excel Honeth, Paul Ricoeur .

مقدمة:

فتحت الفلسفة المعاصرة آفاقا جديدة أمام الفكر الفلسفي وأصبحت فلسفة تتجاوز المعرفة إلى البحث في القيم، واستطاعت أن تعيد النظر في الكثير من القضايا التي لم يسبق طرحها في التاريخ وبهذا الشكل، ومن بين المفاهيم التي أعادت طرحها والنظر فيها من زوايا جديدة هي فكرة الاختلاف والهوية، وبينت أن الاختلاف فضاء واسع ومفهوم عميق يتجاوز التصور الذي يحصر الاختلاف في النقيض أو الأخر المقابل للأنا، هذه التصورات الأيديولوجية هي التي أوقعت البشرية في كثير من الصراعات والنزاعات على مستويات مختلفة، واليوم بات من الضروري بل من حتميات البقاء أن نعمل وبكل السبل على تخطي تاريخنا البشري المظلم، وهذه هي الرسالة النبيلة التي بنبغي أن يظفر بها الإنسان، لأنه في بحثنا عن صيغتنا الاجتماعية وطبيعتنا الذاتية يجب علينا أن نجرب كل الاحتمالات للانتصار على هذا العدوان بأدوات جديدة، وتدابير عقلية وإنسانيه وأهمها فعل الاعتراف الذي يعتبر نوع من المقاومة الفعالة لبشاعة هذا العالم، لأنه يتضمن في مجمل معناه أسمى القيم الإنسانية أبرزها التسامح والعفو والصفح، علينا أن نوسع نطاق رؤيتنا للأشياء من حولنا لعلاقاتنا مع بعض في ظل اختلاف يفرضه الواقع وحتمية البقاء كرغبة مشتركة، تأتي اليوم فلسفة الاعتراف كنموذج معرفي وقيمي وأخلاقي يهدف إلى إعادة صياغة علاقاتنا التذاوتية سواء على المستوى الذاتي أي بين الذات ونفسها أو على المستوى الاجتماعي أو إلى أكثر من ذلك علاقاتنا الانسانية على مختلف مستواياتها، وهنا ومن خلال هذا المقال سنحاول النظر في هذا الموضوع من زاوية فلسفية من خلال محاولة الإجابة على الإشكالية التالية:

كيف نظر الفلاسفة إلى الاختلاف؟ هل يمكن القول أن الاختلاف مأزق حضاري أم أنه فضاء للاستثمار؟

هل يمكن أن يكون الاعتراف نموذج أخلاقي لتحقيق الانفتاح من خلال حماية الهوية والتأكيد على منطق اختلاف؟

المنارة للاستشارات

مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies) ج وهران2/ المجلد 10 ع 2 خ / 16 /03/ 2021
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

أولاً _ الاختلاف بين حتمية الو اقع والرؤية الفلسفية

المسلمة الأولى التي ينبغي أن ندركها هنا هي أن الاختلاف سنة كونية وقانون حتمي مفروض علينا كما فرضت علينا القوانين الطبيعية كالجاذبية مثلا وبتالي التفكير في إلغاء هذا الاختلاف أو تجاهله، هو فعل في غاية السذاجة، بل الغباء ذاته، إذ لابد للمفكر أن يتوجه إلى التفكير في كيفية استثمار هذا الاختلاف في سبيل ترقية الأنا والآخر على حد سواء. فأفضل استثمار على وجه الأرض هو الاستثمار في الإنسان، وأفضل ما نستثمره فيه هو عقيدة الاختلاف ذاتها، باعتبارها حقيقة قائمة لا مجال لتجاوزها.

فواقع الانسان يؤكد أن لاختلاف هو الأرضية التي تتأسس علها الحياة، ونحن نختلف على أشكال ومستويات عدة، اختلاف عقائدي، أيديولوجي، واجتماعي ...الخ، ومنطق رؤيتنا لهذا الاختلاف ينبغي أن يبنى على أساس التعارف واللقاء مع بعض فالاختلاف ليس مبررا للخلاف بين البشر، ففلسفة الاختلاف ترفض التمركز حول الذات، وجاء مفهوم الاختلاف في المعجم الفلسفي لجميل صليبا بأنه "**ضد الاتفاق... هو كون الموجودين غير المتماثلين غير متضادين**" **(صليبا. جميل، 1982: 47)**، وحتى وإن انعدم التشابه والاتفاق بيننا فهذا لا يعني أن التضاد والنزاع هو الذي يربطنا.

و يشير دولوز في كتابه "الاختلاف والتكرار" :" إننا مختلفون ولكننا لسنا متعارضين" ويعبر من خلال قوله هذا على الرفض لفكرة التعارض، بل إن الاختلاف نافذة تطل بها كل ذات على نفسها من خلال الأخر المختلف عنها، وهو ليس مصدرا للنزاع والتضاد أبدا، بل العكس من ذلك تماما هو دافع للحوار والتلاقي، إذ لابد للإنسان أن ينطلق من مسلمة أن الاختلاف هو الذي يحكم الحياة وأن الاختلاف لا يدفع بأي شكل من أشكال إلى الصراع، والاختلاف عند دولوز يبدأ من المفهوم بحيث تكون المفاهيم حاملة للتجربة **(الحمداوي. علي، 2013: 1085)**، وهنا يتجاوز دولوز المفهوم بمعناه التقليدي إلى صياغة نوع مختلف ومتفرد من المفاهيم وأن وظيفة الفلسفة ليست إلا صناعة أو إبداع لمفاهيم جديدة تحمل التجارب في داخلها، وحيث أن الفلسفة تفقد معناها إذ لم تبدع كل مرة مفهوما جديدا مختلفا عن غيره، يتضمن في فحواه ذلك النوع من التنوع والاختلاف وعندما نتحدث عن مفهوم متعدد فإننا هنا نبحث عن تلك التجربة المتضمنة في المفاهيم وهذا هو الاختلاف عينه.

وإذا جئنا إلى تحديد مفهوم الغير فالغير دائما مدرك كأخر لكنه في مفهومه يشكل شرط كل إدراك للأنا، فالأخر هنا يكون مختلفا عن الأنا، فهو ما يميز هذه العلاقات الغيرية والبينذاتية، وهو الطريق للذات سواء للمرور للأخر أو للعودة للذات، ورغم اختلاف الأخر عنا إلا أنه يمكننا من رؤية العالم الخارجي بوضوح، مما يعني أن انعدام وجود الأخر يودي بنا إلى عدم

المنارة للاستشارات

قدرتنا على إدراك الأنا، ولذلك لابد من أن نغير منطق العلاقة التي تحكمنا من الصراع والنزاع إلى منطق التواصل والاعتراف **(دولوز.جيل، 1997: 40 -41)**، وألا يحكم علاقتنا التضاد والتنازع ذلك أن الاختلاف مع الأخر لا يمكن أن يكون مبررا للصراع، كما أن وجود الأنا لا يتحدد إلا من خلال ذلك الأخر المختلف عنه.

و مفهوم الاختلاف عند جيل دولوز حل محل **"الهو والمطابق السلبي والهوية والتناقض لأن الاختلاف لا يتضمن السلبي... غير أن الفكر الحديث ولد... من ضياع الهويات" (دولوز. جيل، 2009: 38)** ، حيث جاء دولوز حتى يحرر مفهوم الاختلاف من سلطة الهوية فقد كان مفهوم الاختلاف غير معترف به في ظل سيطرة فكرة الذات والتمركز حول الأنا، فالفكر الفلسفي قديما كان فكرا هوويا، أي أنه يفكر بمنطق الهوية فقد كان مفهوم الاختلاف غير معترف به .

وهنا لابد من الاشارة إلى أن هدف الفلسفة الأساسي حسب دلوز هو قلب العلاقة بين الهوية والاختلاف، حيث يظهر جليا رفضه لمنطق الهوية الثابت، الذي يجعل العقل والفكر منغلقا حافظ لكل الثوابت برفضه الانفصال عنها وتطويرها وتغييرها إلى الأفضل، ومن هنا وجب أن تفقد الهوية أولوياتها أمام الاختلاف إذا لابد للفلسفة والبحث عن المختلف، هذه الثورة الكوبرنيكية التي جاء بها دولوز بأن فتح أما الاختلاف إمكانية لتحقيق مفهومه الخاص، وذلك بالحاق الهوية بالمختلف والكف عن تزيفه من خلال رده إلى منطق الهوية **(دولوز.جيل، 2009: 125 - 126)** .

ومن خلال الاختلاف يظهر خطاب الغيرية عند نيتشه، بحسب تعبير دولوز بحيث تكون علاقة قوة أعظم من قوى أخرة، وإرادة أعظم من إرادة، وهنا يتجسد الاختلاف الذي يجعل كل منهما في تميزه عن الأخر، وبما أننا قلنا أن القوة مرتبطة بغيرها وأن أحدهما يمثل الأنا وأخراهما تمثل الأخر، وبما أن العلاقة بين هذه القوى يحكمها الاختلاف، فإن العلاقة بين الأنا والأخر وبصورة منطقية يحكمها الاختلاف أيضا، فالأنا مختلف عن الأخر قطعا، ولكن الاختلاف ليس دعوة للتنافر بينهما، إذ أن كل شيء متعلق بشيء أخر إما ليطيعه أو ليأمره، وهذا ما يضعنا أمام الأصل والاختلاف، أي أن العلاقة بين قوة مسيطرة وقوة مسيطرة عليها وإرادة مطاعة وإرادة مطيعة **(دولوز. جيل، نيتشه والفلسفة، 1993: 13)** .أي لا تكون هناك علاقة لقوة مع قوة أخرى في غياب الاختلاف بينهما، والاختلاف هو الذي يصنع لنا هذه العلاقة كيف كانت، فلو كانت كل القوى متماثلة ومتشابهة لن يكون بإمكاننا أن نميز الواحد عن الأخر، والاختلاف لابد من أن تعترف ببعضها وتتعايشان في ظل هذا الاختلاف بل ولابد من التأكيد عليه.

المنارة للاستشارات

وفي سياق متصل نجد على حرب يناقش مبدأ الاختلاف انطلاقا مما لاحظه في بلدة لبنان، حيث يرى أن لبنان بلد تحكمه الاختلافات لا تعارض ولا انقسام فيه، ويؤكد بدوره استحالة وجود مجتمع بأكمله يحكمه التوافق في كل شيء بحيث يستحيل "تصور مجتمع لا اختلاف ولا تعارض" **(حرب. علي، 2008: 36)**، فلا يمكن إطلاقا وجود مجتمع مثل هذا إلا في الخيال فأما الواقع فإنه يثبت أن الناس مختلفون وأن تعاملاتهم مختلفة .

فلا يمكن أن يكون المجتمع متماثل ومتشابه، فلاختلاف حقيقة يفرضها الواقع، كما أن الاختلاف يدفع إلى التطور وتبادل الأفكار والآراء، وهذا ما يدفع إلى الانفتاح على الأخر، والمجتمعات المنفتحة يحتاج فيها الفرد إلى الاختلاف عن غيره **(حرب. علي، 1994: 135)**، وهنا يتحدث على حرب على بلده ويرى أنه يتميز بالانفتاح قل نظيره أنها عرفت تقدما ملحوظا نتيجة ذلك التعدد والتنوع، الذي تحظى به **(حرب. علي، 2008: 7)**، حيث أن المجتمع اللبناني يظم تحت رايته العديد من الثقافات والديانات وهذا التنوع كما يرى على حرب ناتج عن التعدد والاختلافات التي تعد ضرورة لابد منها، وبما أن الاختلاف دليل على التنوع والتمايز بين الأشياء فهو لا يدفع إلى الخلاف والتضاد بل إنه يدفع إلى الانفتاح والازدهار .

فلسفة الاختلاف إذن هي انقلاب ثوري على تقليد فلسفي ظل سائدا لمدة قرون، أين ظل هذا التقليد يدور ويلف حول المفاهيم الصلبة مثل الأنا والذات والمركز والكلي والمطلق، فظهرت فكرة الاختلاف من أجل أن تعيد الأمور إلى نصابها وتعطي للأشياء قيمتها الحقيقية دون زيادة أو نقصان، فما للأنا لها وما للأخر له، تعيش الذات بخصوصيتها وتفردها دون أن تنصهر في المجموع، وفي الأن ذاته لا تنجرف في وهم زائف مفاده أنها كل شيء، وهي المطلق بعينه، بل على العكس من ذاك لابد لهذه الأنا أن تتطلع بعين ثاقبة إلى شساعة العالم وتنوعه وغناه، وأن لها أن تتطور وترتقي بفضل هذا التنوع، فهي لن تجني من الانطواء والعزلة شيئا بقدر ما ستغلق الأفاق في وجهها، وتصبح كمن يدور في حلقة مفرغة يتجاوزها الزمن، وما أحوجنا نحن اليوم وفي ظل هذه التحديات التي تواجهنا على اختلاف مجالاتها ومستوياتها، أن نبحث عن ألية جديدة تساعدنا على صياغة فعل يعيد ربط أوصالنا، ونستجمع شتاتنا لنغدو بذلك أكثر انفتاحا وتطورا، وأن نأسس لنموذج معرفي وأخلاقي مشبع بقيم المسؤولية والحب والاحترام، وهذا ما سعت فلسفة الاعتراف بمختلف مساراتها إلى تحقيقه والدعوة الجادة لتأسيس هذا الفعل على أرض الواقع .

المنارة للاستشارات

ثانياً _ الاعتراف كآلية لتأمين على الهوية في ظل الاختلاف

أ - هونيث والتأسيس الفلسفي لفكرة الاعتراف

إن الحديث عن مفهوم الاعتراف عند إكسل هونيث يعني الحديث عن أحد أرقى الأساليب في الحياة والتي تجمع الأفراد فيما بينهم في أرقى مستوياتها العقلية والعاطفية فطبيعة الإنسان حاملة بالفطرة للعديد من القيم السلبية كالأنانية وحب الذات والتسلط، والتي قد تقف حائلا دون تقدم البشرية ورقيها في حال لم يعرف الإنسان السبيل إلى تنظيمها حتى لا تقول كبتها، فعندما يطلق الإنسان العنان لشهواته وغرائزه على اختلافها سينشأ الصراع وتشب الحروب، فنصبح أمام صراع إنسان ضد إنسان **(علي حرب وأخرون، 2013: 1591)**، ففي البداية استحضر هونيث استحضارا تاريخيا لفكرة هيجل الأولى حول التذاوت وبين من خلال هذه العملية أن هيجل يعد أول من شخص للمرض الاجتماعي، واعتبر أن أساس الاحتقار والازدراء والتشيؤ في الحقيقة إنما هو أعراض لغياب قيمة إتيقية أساسها هو الاعتراف يقول هونيث في هذا الصدد : "كان هيجل مقتنعا آنذاك أن صراع الذوات (الرعايا) للحصول على اعتراف متبادل بهويتهم إنما ينتج في قلب المجتمع حركة تجنح بالضرورة لإقامة مؤسسات ضامنة للحريّات وعلى المستويين السياسي والعملي " **(هونيث. إكسل، 2005: 16)**، ويحيل هذا القول إلى أن المطالبة والدفاع عن الاعتراف بالذات وسط الذوات الأخرى بالهوية الفردية الخاصة بكينونة مستقلة هو السبب الأول في دخول الحياة الاجتماعية أو الجسد الاجتماعي بكل مكوناته في ما يعرف بالتوتر الأخلاقي، والتصعيد من حدة هذه المطالبة هو ما يدفع نحوى التقدم الاجتماعي حتى تصل هذه المطالبة بالتدرج لحالة من حرية معيشة في حالة تواصل.

- **أشكال الاعتراف حسب هونيث:**

تلعب التنشئة الاجتماعية دورا بالغ الأهمية في تكوين الذات وذلك من خلال علاقتها مع الآخر، فمن خلال التفاعل البنذاتي بين الأفراد تتمكن الذات من تكوين وعي خاص حول نفسها ومنه لا مجال لتحقيق ذواتنا وإدراك حقيقتها، إلا من خلال الاعتراف بالآخر، لأنه بمثابة وسيط تنتقل به لمعرفة ذواتنا وفهمها فهما حقيقيا، لضبط هذه العلاقة ضمن الإطار السليم لها يذهب إكسل هونيث إلى تقديم ثلاث نماذج من الاعتراف يرى أنها كفيلة لتحقيق الاعتراف المتبادل بكل أبعاده الإيتقية، ومن أشكال الاعتراف التي صاغها هونيث ندرج ما يلي:

- **الحب:**

الحب هو علاقة تفاعلية بينذاتية أولية مؤسسة على نموذج خاص للاعتراف المتبادل، مما يعني أن هناك علاقة متداخلة بين العلاقات العاطفية وقدرة الفرد على الشعور بقيمته أو مكانته التي تجعله يثق في نفسه ويعززها **(بومنير. كمال، الحق في الاعتراف، 2018 : 99)**،

المنارة للاستشارات

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

وبالتالي يتسع أمام العاطفة ومفهوم الحب تحديدا، حيث يصبح هذا الأخير لا يقتصر على العلاقات الجنسية التي تكون بين الرجل والمرأة، بل أصبح هذا المفهوم يستخدم بحادية أكثر وشمول تنطوي ضمنه العلاقات الأسرية مثل علاقة الأم بالابن أو علاقات الصداقة، التي تفترض وجود روابط عاطفية بين مجموعة محدودة من الأشخاص (**هونيث. إكسل**، 2005 : 175) .

- **الحق**:

الحق عند هونيث يعني: « تلك الحاجات التي يتوقع الفرد تحققها بصورة مشروعة باعتباره عضوا كامل الحقوق، ومن حيث هو مشارك بقوة القانون في النظام المؤسساتي، أما إذا حرم من هذه الحقوق أو بعضها، فهذا معناه أنه لم يعترف له بمسؤوليته الأخلاقية مثل أعضاء المجتمع » (**بومنير. كمال، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى إكسل هونيث**، 2010 : 119)، وهو الشكل الثاني من الاعتراف المتبادل بين الذوات، وما يحققه هذا النموذج من الاعتراف المتبادل هو أنه يكون بمثابة اعتراف قانوني، والحق أشمل من الحب، فهو ذا طابع كوني لأن كل المشاركين الذين يتمثلون المعايير القانونية يعتبرون أنفسهم أحرار ومتساويين (**بومنير. كمال، الحق في الاعتراف**، 2018 : 110) فكون الإنسان جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه فهذا يجعله على ثقة كاملة أنه مثل البقية وله ما للبقية من الحقوق، ولكن في حال ما فقد هذا الفرد حقا من حقوقه أو كلها، سيشعر بالتهميش والإهانة، وهذا ما يدفعه إلى محاولة إرغام للآخر بالاعتراف به.

- **التضامن**:

التضامن وهو الشكل الثالث من أشكال الاعتراف المتبادل وما يضفيه هذا الشكل هو تقديمه لبعد قيمي حيث يؤمن كل فرد وينعم بالاعتراف وبأهمية قدرات الأخرين وصفاتهم (**هونيث.إكسل**، 2005 : 253) يعتبر هذا المفهوم من بين المفاهيم الإنسانية البحتة لأنه فعل يتطلب إرادة وعاطفة الآخر وعقلا مفكرا ولذلك فقد أولاه هونيث أهمية كبيرة في تأسيسه لنظريته الاجتماعية الخاصة بإتيقا الاعتراف، وما له قيمة في نظر الآخرين هو ما يقدم مصلحة مشتركة للأفراد داخل منظومة اجتماعية معينة أو دولة معينة أو للعالم بأسره، حيث يقول هونيث في هذا الصدد: « تعتبر تجربة الاعتراف تجربة أساسية بالنسبة للإنسان، فتحقيق علاقة ناجحة مع ذاته يحتاج المرء إلى الاعتراف التذاوتي للإمكانيات والمؤهلات إن غاب أو انعدم هذا الشكل من الاستحقاق الاجتماعي فقد يصاب المرء بضرر نفسي ومشاعر سلبية كالغضب أو الإحباط على سبيل المثال » (**علي حرب وأخرون**2013:1093)، فالتضامن بقدر ما يعزز الذات بقدر ما يعزز الأخر من خلال احترامه وكذلك التقدير الموجود بين

المنارة للاستشارات

الذوات، فشعور المرء بالتقدير وبقيمة ذاته، أمر يرتبط بالأخرين أيضا وعندما يحصل المرء على هذا التقدير يستطيع تحسين صوره أمام ذاته ويعززها بصورة إيجابية **(بومنير. كمال، الحق في الاعتراف، 2018 : 117).**

ب ـ بول ريكوروتحقيق الاعتراف من خلال الهوية السردية

و من بين النماذج الفلسفية كذلك التي تعد من قامات فكر الاعتراف الفيلسوف الفرنسي بول ريكور الذي اكد بدوره على أن الاختلافات بيننا في نهاية المطاف ليست اختلافات مطلقة بل نسبية، وحتى يتسنى لنا أن نصبح أشخاصا فإن ذلك مرهون بدخولنا في شبكة العلاقات الاجتماعية والتفاعل معها، ووجود لكل منا هوية متفردة وخاصة به لا يمنع من دخولنا في شبكة العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الأخرين المختلفين عنا، بل هذا الاختلاف ذاته هو من سيثبت هذه الهوية ويودي إلى الاعتراف بها، وتتجلى الوحدة في ظل هذا الاختلاف في سعينا المشترك نحوى تحقيق الاعتراف والتقدير والاحترام، ويستهدف هذا السعي مشاركة حقيقية التي تعبر عن التقدير المتبادل لكل ما يمتلكه كل منا وبين خصوصية الذات وإنسانيتنا المشتركة في نفس الوقت، يقول ريكور :"الإنسان هو ذلك الوحدة الجمعية والتجمعية، حيث على وحدة التوجه واختلاف المصائر. أن تفهم من خلال بعضها" **(ريكور. بول، 2003 : 138)**، وتتجلى تلك الوحدة التي تجمع الناس مع بعضهم البعض -رغم اختلافهم- في سعيهم الموحد نحوى تحقيق الاعتراف والتقدير، بحيث يحترم هذا التقدير التفاوت المكون لكل شخص، ففي ظل الاعتراف تتحقق إنسانيتنا الحقة، فهو القيمة القادرة في نظر ريكور على تحقيق التقدير والاحترام والتفاوت المكون لكل شخص، وهي فكرة فصل فيها ريكور في كتابه "سيرة الاعتراف" وفيه يؤكد أن ضرورة تجاوز الاعتراف المتبادل الذي قد نجده في التعاملات التجارية، أو أي تعاملات من الممكن اختزالها إلى مجرد تبادل السلع دون وضع أي اعتبار لما قد يكونه الطرف الأخر، فنحن جميعا وبحكم الإنسانية نسعى لتحقيق التقدير المشترك.

ذهب بول ريكور في كتابه " الذات عينها كآخر" أن العلاقة بين الذات والأخر هي علاقة التفريد، حيث يقول : " **بأنه بشكل عام العملية المعاكسة لعملية التصنيف التي تلغى الميزات الخاصة" (ريكور. بول، 2005 : 67)** وما يحيل إليه هذا المصطلح هو نوع من المعارضة والتمايز لشيء في مقابل شيء أخر، أي أن لكل من منا خصائص ومميزات نختلف بها عن الأخر، قد تصل إلى حد التناقض أحيانا، ولكن العلاقة في ظل هذا التعارض لابد من أن تحمل في مضمونها قيم الغيرية لا الأنانية، فهذا التفريد وما يمنحه للأنا من خصائص ومميزات لا تنفي أن نرتبط بالأخر في علاقة عنوانها الاعتراف المتبادل .

المنارة للاستشارات

يقول ريكور :"ترتبط فكرة الاعتراف بالهوية ارتباطا ضروريا، سواء تعلق الأمر بالاعتراف بما هو تعيين وتحديد لهوية الشيء على وجه العموم، أو تعلق الأمر بالاعتراف بما هو شهادة" **(Ricour.Paul، 2004: p87)**، وإذا كان منطلقنا من هذه الفكرة التي مؤداها أن الذاكرة والهوية مرتبطان ارتباطا وثيقا، فكيف يربط ريكور هذين المفهومين بمفهوم الاعتراف، أي ما هي علاقة الذاكرة بالهوية والاعتراف؟

في كتابه "الذات عينها كأخر" يعترف ريكور أنه عندما اختار هذا العنوان أراد أن يدل على نقطة تلاقي المقاصد الفلسفية الرئيسية التي تحكمت في صياغة الدراسات التي تؤلف هذا المصنف، ومن المقاصد التي ذكرها هي التأكيد على أولية التوسيط التفكيري médiation réflexive، وتحتل هذه الكلمة مركزا مهما في فلسفة ريكور، فالتفكيري في صياغ فلسفته لا يعني التأمل النظري الخالص، بل هو المجهود المستمر الذي تقوم به الذات لفهم ذاتها عبر اكتشاف معنى تجربتها المعاشة، لأنها ير قادرة على الاستناد إلى يقينية مطلقة، حيث تتجاوز هذه التفكيرية الذات وألأنا الكوجيتو المنغلقة على ذاتها إلى التوسط بالأخر، وهنا يزول عن الذات غرورها ونرجسيتها التي كانت تؤمن بقدرتها على تأسيس ذاتها بذاتها **(ريكور. بول، 2005 : 67)**، وفي الفترة التاريخية الماضية وبالتحديد في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وجد ريكور نفسه بين تيارات فلسفية متباينة في موقفها من الذات وعلاقتها مع الأخر، فقد كان هناك سارتر مع فلسفته الوجودية التي تعظم الأنا وعلى منواله وخطاه عظم هوسرل هو الأخر الأنا في فلسفته الفينومينولوجية، فكانت الذات هنا هي المنتصرة، وعلى صعيد أخر وفي تيار مضاد تأتي البنيوية بقيادة فوكوا ومن ولاه أمثال دريدا والتوسير حيث أعلنت موت الذات ونهايتها لصالح المجموع، وبتالي أنكرت وجود الذات الفاعلة وهنا تأتي مهمة ريكور في إيجاد مخرج من هذه المفارقة ومواجهة هذا التباين الذي ينكر الذات **(ريكور. بول، 2005 : 68)** .

يذهب ريكور إلى اعتبار أن مفهوم الهوية الذي أسسه ديكارت من خلال فكرة الكوجيتو قد انهار كليا بفعل فلسفات مضادة في مقدمتها فلسفة نيتشه التي أذلت هذا التأسيس الذي توهم قدرته على تأسيس ذاته بذاته، وقد ميز ريكور بين شكلين أساسيين من أشكال الهوية، الأولى هي هوية ذاتية تتغير وتبقى في الوقت عينه محافظة على ذاتها رغم مرور الزمان، بطريقة الوفاء للوعد المقطوع، والشكل الأخر للهوية هو هوية ثابتة لا تتغير وليست هي الذات، ويقترح المترجم تسميتها بالعين أو العينية، وهي نوع ما أقرب إلى مفهوم الجوهر الذي لا يتغير بل يبقى محافظا على ما هو عليه على الرغم من مرور الزمان **(ريكور. بول، 2005 : 49.50)**، وما يحيلنا إليه القول هو أن للهوية شكلين شكل متغير يحفظ الشكل الثابت.

المنارة للاستشارات

يربط ريكور ربطا وثيقا بين الهوية والذاكرة، وخاصة منها الذاكرة السردية التي أولاها مكانة كبيرة نظرا لأهميتها، وذلك من خلال ما يعرف بالمصادر السردية التي تحمل معها التاريخ الماضي للحاضر والمستقبل، يعود ريكور إلى أوغسطين لبيان الطابع الشخصي للذاكرة الذي لا ينفصل عن الزمن، أين يتحدث أوغسطين بارتياب حول وجود الذاكرة من عدم وجودها حيث يقول: وعليه فإنه كما قلت نقيس الزمن في أثناء مروره، ولو سئلت من أين لك هذا؟ لأجبت من قياسنا لأننا لا نقيس إلا الموجود، والمستقبل والماضي لا وجود لهما الأن، ولكن التساؤل المطروح كيف لا نستطيع أن نقيس الحاضر طالما ليس له امتداد؟ لا يقاس إلا أثناء مروره، ولكن حين يمر يستحيل قياسه لأنه لا يعود قابلا للوجود، يطرح هذا الالتباس مفارقات عدة أهمها مفارقة النفس والزمان، فإذا كان الزمان عند أوغسطين هو انتفاخ الروح، فكيف ينتفخ ويتمدد، وهو غير موجود؟ كيف نقيس مالا يوجد بما لا يوجد؟ وبناء عليه عرف ريكور الزمن بأنه " النسق الوسيط المتجانس في الوقت نفسه مع المحسوس الذي فيه يكون المتجانس في الوقت نفسه مع المحسوس الذي فيه يكون أسلوب التبعثر والتمدد" **(ريكور.بول، الإنسان الخطاء، 2003 : 78)**، بين الزمن السيكولوجي والزمن الكوزمولوجي يوجد زمن وسيط بينهما وهو الزمن السردي. ذلك أن كل ما نحكيه أو نسرده ونرويه يحدث في الزمن ويستغرق زمنا ويجري زمنيا، وكل سيرورة غير معترف بها إلا بقدر ما هي قابلة للسرد، فأغسطين يرى أن الزمن ما هو إلا انقطاع متواصل بين ثلاث مظاهر للحاضر، يقول أغسطين : خطأ أن نقول بوجود ثلاث أزمنة الماضي والحاضر والمستقبل، بل الأصح قولنا في الكون ثلاث أزمنة، حاضر الماضي وحاضر الحاضر، وحاضر المستقبل، فحاضر الأشياء الماضية هو الذاكرة، وحاضر الأشياء الحاضرة هو الرؤية المباشرة، وحاضر المستقبل هو الترقب" **(أغسطين. توماس: 1986 :254)**، فمن خلال السرد نستطيع خلق لحظة زمنية حاضرة، وهنا تبرز علاقة الذاكرة بالاعتراف من خلال وساطة السرد، بل هو القالب الذي تعرف فيه الذات ذاتها، وحتى يتسنى لها ذلك وتتعرف على هويتها يجب أن تحول مسروداتها إلى حكاية، وبهذا المعنى فوجود الذات باعتبارها منغرسة في الزمن هي كيان يتخذ شكل رواية، وأن فهم الذاتية لا ينفصل عن الطريقة التي يتم بها رواية قصص ذوات أخرى وفي ظل هذه العلاقة التحاورية بين الذوات يمكننا أن نلمس الدرو بالغ الأهمية لذاكرة التي تعمل على فهم الذات وفق حضورها الزمني لحظة سردها لذاتها ولغيرها **(بن تمسك. مصطفى، 2016 : 19)**، وهذه الذاكرة السردية ليست فارغة من المحتوى بل تحمل في مضمونها زخم من القيم التي تأثر على الحاضر والمستقبل على حد سواء، بمعنى أنه مادام لكل مجتمع أو دولة أو جماعة ما يعرف بالذاكرة الجماعية، فإنه سيكتشف أن هناك مجتمعا متخيلا.

المنارة للاستشارات

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

ويمكن من خلال تفعيل هذه الفكرة أن نتجاوز الكثير من المشاكل التاريخية والسياسية، حيث يقول ريكور: "ربما يقودنا الاعتراف بالأسس السردية المؤسسة لهويتها الخاصة إلى إرادة قوية في تخيل جديد للعداء التاريخي بينهما" **(كيرني. ريتشارد، 2009: 166)**، وبناء على هذا التحديد فإن تجاوز المشاكل وحلها لا يتوقف على إصدار مرسوم عفوي رسمي، ولا من خلال محو الذاكرة الأليمة الماضية، وإنما من خلال استثمار فريد للذاكرة من خلال إعمالها لما يساعد على العفو والصفح عما سلف، وهنا نعود لفكرة الإنسان القادر أو المستطيع، الذي يستطيع أن يستخدم ذاكرته لما هو أفضل وأنجع لتجاوز المشاكل، وتحرير نفسه من ألم الماضي الذي لن يجني منها سوى تحطيمه للحاضر والمستقبل، كما يعيد بناء ذاته بناء سلميا لا مكان فيها للعنف ولا للانتقام ولا للضغينة.

خاتمة

من جملة النتائج التي توصلنا لها ضمن هذا البحث هي أن الاختلاف من وجهة نظر فلسفية _و خاصة عند الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز_ ليس تضادا ولا صراع بل هو نقطة تلتقي فيها الذوات وتتعارف كل ذات على نفسها من خلال الأخر، الاعتراف يعد أحد النماذج الفلسفية والأخلاقية المعاصرة التي يمكن إدراجها ضمن الاليات التي يمكن أن تساعد على إعادة الإنسان على الأقل إلى المستوى الذي يليق بإنسانيته التي بات قاب قوسين أو أدنى على فقدانها في الفترة المعاصرة بفعل عوامل عدة وما يحسب لصالح فلسفة الاعتراف هو أنها أعادت طرح الكثير من المواضيع الفلسفية وأعادت صياغتها من منظور جديد وأهم هذه المواضيع هو الاختلاف وكذا الهوية، وقد تبين لنا من خلال ما سبق أن الاعتراف يعد نموذج يعزز على الاختلاف ويحمي الهوية في نفس الوقت من خلال التأكيد على الفردنة والخصوصية في مقابل ذلك يدعو إلى تحقيق الانفتاح على الأخر والدخول فيما يسمى بالعلاقات التذاوتية .

و من بين النماذج الفلسفية التي تطرقنا لها في الاعتراف هي الفيلسوف الألماني إكسل هونيث الذي أسس لمفهوم الاعتراف خاص به يأخذ أبعادً مختلفة ومتعددة مؤكدا في لأن ذاته أن الحديث عن الاعتراف هو في الحقيقة حديث عن أرقى وسائل التواصل بل هو أسمى أسلوب يربط بين البشر، في ظل العلاقات التذاوتيه سواءً في مستواها العقلي أو النفسي، أما بول ريكور الذي ربط الاعتراف بما يعرف بالهوية السردية والذاكرة، فبين أن الذات تقوم بمجهود مستمر لفهم ذاتها عبر اكتشاف معنى تجربتها المعاشة، وذلك من خلال التوسط بالأخر، علاوة على ذلك أن المصادر السردية التي تحمل معها التاريخ الماضي للحاضر والمستقبل لا تنفصل عن الذاكرة، وبين أنه بين الزمن السيكولوجي والزمن الكزمولوجي يوجد زمن وسط

المنارة للاستشارات

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

بينهما وهو الزمن السردي، ومن خلال السرد نستطيع خلق لحظة زمنية حاضرة، وهنا تبرز علاقة الذاكرة بالاعتراف من خلال وساطة السرد .

- المصادروالمراجع :

1. إكسل، هونيث (2015) ، الصراع من أجل الاعتراف، ت: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان.
2. أوغسطين (1986). *اعترافات اغسطينيوس*. بيروت: دار الشروق .
3. بول ريكور (2003). *الإنسان الخطاء*. بيروت: المركز الثقافي العربي .
4. بول ريكور (2009). *الذاكرة، التاريخ، النسيان*. بيروت: دار الكتاب الجديد .
5. بول ريكور (2010). *سيرة الاعتراف*. تونس: المركز الوطني للترجمة.
6. بول ريكور(2005) .الذات عينها كآخر، ترجمة ج ورج يزناتي، ط1 ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
7. جيل دولوز(1993) . نيتشه والفلسفة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
8. جيل دولوز(1997) ، فيكسي غيتاري، ماهي الفلسفة. بيروت: المركز الثقافي العربي.
9. ريتشارد كريتي (2009). *دوائر الهيرمونطقا عند بول ريكور*. عمان: دار الأزمنة للنشر والتوزيع .
10. زواوي بغورة (2012). *الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل* . بيروت: دار الطليعة .
11. على حرب (1994). أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر. بيروت: دار الطليعة لدراسات والنشر.
12. علي حرب (2008). خطاب الهوية . الجزائر: منشورات الاختلاف .
13. علي حرب وآخرون (2013)، الفلسفة الغربية المعاصرة،، ج 2، الجزائر، منشورات ضفاف : بيروت.
14. علي حرب (1997). الفكر والحدث. بيروت: دار الكنوز الأدبية.
15. كمال بومنير (2018). الحق في الاعتراف. الجزائر: منشورات دار الخلدونية .
16. كمال بومنير(2019). سؤال الاعتراف. الجزائر : دار ميم للنشر.

المنارة للاستشارات